الفصل التاسع

مفهوم التعليم وفضله

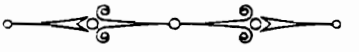

مفهوم العلم لغة واصطلاحًا :

العلم لغة : نقيض الجهل،وهو: إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا.

العلم اصطلاحًا: فقد قال بعض أهل العلم : هو المعرفة ، وهو ضد الجهل وقال آخرون من أهل العلم: إن العلم أوضح من أن يُعَرَّف [١].

وينقسم العلم الذي تتعلمه المرأة المسلمة إلى نوعين :

١- علوم فرض عين :

وهي العلوم التي يجب أن تُلم بها كل مسلمة على حدة، ويدخل في نطاقها أكثر العلوم الدينية والتي بها تصح عقيدتها وعبادتها وسلوكها ، وكذلك العلوم التي تحتاجها المرأة لأداء وظيفتها في الحياة كأن تتعلم العلوم الخاصة بإدارة المنزل كافة وتربية الأولاد وغيرها ، كل ذلك حسب الأصول المراعية في عصرها ، فما اقتضاه الشرع وما استدعته حياة الأسرة هو فرض عين على كل مسلمة أن تتعلمه .

٢- علوم فرض كفاية :

وهي العلوم التي تحتاج الأمة الإسلامية من المرأة أن تتعلمها ، والتي إذا قام بتعلمها فريق من النساء سقط الفرض عن الباقيات ، فإذا فرض أن

(١) «كتاب العلم » لفضيلة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله- (ص٧) .

الضرورة استدعت وجود طبيبات أو معلمات أو فنيات أو غيرها من العلوم التي يحتاجها المجتمع المسلم من نسائه ، صار على النساء المسلمات فرض كفاية أن يهيئن منهن على قدر الحاجة مَنْ تتعلم هذه العلوم وإلا فالكل آثم شرعًا .

فضائل العلم في الإسلام : (١)

لقد مدح الله سبحانه وتعالى العلم وأهله ، وحث عباده على العلم والتزود منه ، وكذلك السُّنَّة المطهرة، فالعلم من أفضل الأعمال الصالحة وهو من أفضل وأجلّ العبادات ، عبادات التطوع ، لأنه نوع من الجهاد في سبيل الله ، فإن دين الله عز وجل إنما قام بأمرين :

أحدهما : العلم والبرهان .

والثاني: القتال والسنان .

فلابد من هذيه الأمرين ، ولا يمكن أن يقوم دين الله ويظهر إلا بهما جميعًا والأول منهما مقدم على الثاني ، وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر :٩] ، لا يستوي الذي يعلم والذي لا يعلم ، كما لا يستوي الحي والميت ، والسميع والأصم، والبصير والأعمى ، العلم نور يهتدي به الإنسان ، ويخرج به من الظلمات إلى النور ، والعلم يرفع الله به من يشأ من خلقه ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة :١١] .

إن العابد حقا هو: الذي يعبد ربه على بصيره ، ويتبين له الحق ، وهذه سبيل النبي ﷺ ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف :١٠٨] .

---

(١) المرجع السابق (ص ٩-١٦) بتصرف بسيط.

ومن أهم فضائل العلم ما يلي :

١- أنه إرث الأنبياء ، فإن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام- لم يُورثوا درهمًا ولا دينارًا ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذ بالعلم فقد أخذ بحظ وافر من إرث الأنبياء .

٢- أنه يبقى والمال يفنى ، فهذا أبو هريرة رضي الله عنه من فقراء الصحابة رضي الله عنهم ، حتى إنه يسقط من الجوع كالمغمى عليه ، وأسألكم بالله : هل يجري لأبي هريرة ذكر بين الناس في عصرنا أم لا ؟ ، نعم يجري كثيرًا فيكون لأبي هريرة رضي الله عنه أجر من انتفع بأحاديثه ، إذًا العلم يبقى والمال يفنى ، فعليك يا طالب العلم أن تستمسك بالعلم ، فقد ثبت في الأحاديث أن النبي ﷺ قال : « **إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ** » (١).

٣- أنه لا يتعب صاحبه في الحراسة ، لأنه إذا رزقك الله علمًا ، فمحله في القلب لا يحتاج إلى صناديق أو مفاتيح أو غيرها ، هو في القلب محروس وفي الوقت نفسه هو حارس لك ، لأنه يحميك من الخطر بإذن الله عز وجل ، فالعلم يحرسك، ولكن المال أنت تحرسه ، تجعله في صناديق وراء الأغلاق ، ومع ذلك تكون مطمئن عليه .

٤- أنه طريق الجنة ، كما دل على ذلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « .... **وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ** » (٢).

٥- أن العالم نور يهتدي به الناس في أمور دينهم ودنياهم ، ولا يخفى على

(١) صحيح : رواه مسلم (١٦٣١) والبخاري في الأدب المفرد (ص٣٨) .
(٢)صحيح : رواه مسلم (٢٦٩٩) ، والترمذي (٢٦٤٦ - ٢٩٤٥) وأبو داود (٣٦٣٤) .

كثير منكم قصة الرجل الذي من بني إسرائيل ، قتل تسعًا وتسعين نفسًا ، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على رجل عابد فسألأه هل له من توبة؟، فكأن العابد استعظم الأمر فقال : لا ، فقتله ، فأتمَّ به المائة ، ثم ذهب إلى عالم فسأله فأخبره أن له توبة ، وأنه لا شيء يحول بينه وبين التوبة ، ثم دله على بلد أهله صالحون، ليخرج إليها ، فخرج فأتاه الموت في أثناءالطريق ، والقصة مشهورة[1] ، فانظر الفرق بين العالم والجاهل .

الله سبحانه وتعالى بعد أن أمر بالقرار في البيوت قال : ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب:٣٤]، وهذه الآية هي من أقوى الأدلة على وجوب تعليم المرأة لأحكام الكتاب والسُّنَّة وكل ما يهمها في أمور دينها ودنياها ، وكلنا يعلم أن نساء الصحابة - رضي الله عنهن- كان منهن المحدثات والفقيهات والطبيبات ، وكانت السيدة عائشة - رضي الله عنها -عالمة بالطب والشعر وأنساب العرب إلى جانب فقهها الذي لا يخفى وروايتها عن رسول الله ﷺ ، ولقد بلغ بها العلم مبلغًا كبيرًا حتى أنها كانت تستدرك على الصحابة وتراجعهم في كثير من المسائل ، وقد جمع لها الإمام السيوطي -رحمه الله- استدراكاتها تلك في كتاب أسماه (عين الإصابة في استدراك عائشة على الصحابة- رضي الله عنها -) .

وتحكي لنا كتب السيرة أن نساء الأنصار -رضي الله عنهن- راعهن ازدحام الرجال على رسول الله ﷺ وغلبتهم عليه فجئن إليه ﷺ يطلب منه أن يجعل لهن يومًا يعلمهن فيه العلم ، فجعل لهن رسول الله ﷺ يومًا ، كما هو ثابت في صحيحي البخاري ومسلم ، وأيضًا لم يمنع رسول الله ﷺ نساء المؤمنين من حضور الجُمع والجماعات في مسجده ﷺ مع الرجال ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(١) القصة وردت في حديث متفق عليه . رواه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦) .

أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ وَلَكِنْ لِيَخْرُجْنَ وَهُنَّ تَفِلَاتٌ »[١]. أي : غير متزينات أو غير متطيبات .

وقد ذكر الإمام أحمد -رحمه الله- في كتاب الزهد من كلام لقمان، أنه قال لابنه : « يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة ، كما يحيي الأرض بوابل القطر » ، وقال معاذ بن جبل -رضي الله عنه- : «تعلموا العلم ، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقه ، وبذله لأهله قربة ، لأنه معالم الحلال والحرام ، ومنار سبيل أهل الجنة »[٢] .

وصدق من قال :

تعلم العلم فإن العلم زين لأهله ... وفضل وعنوان لكل المحامدِ

وكن مستفيدًا كل يوم زيادة ... من العلم واسبح في بحور الفوائدِ

وتفقه فإن الفقه أفضل قائد ... إلى البر والتقوى وأعدل قاصدِ

هو العلم الهادي إلى سُنن الهُدى ... هو الحصن ينجي من جميع الشرائرِ

فإن فقيهًا واحدًا متورعًا ... أشد على الشيطان من ألف عابدِ

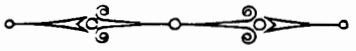

(١)سبق تخريجه .

(٢) « مدارج السالكين » .